الباب الرابع عشرين

تولية إسكيا إسماعيل

فتولى إسكيا إسماعيل بتوليه دندفارى مارتمز فى يوم العزلان بالتاريخ المذكور فى موضع يُقال له : تار . ومكث محمد بنكن فيها ست سنين وشهرين .

وفى هذا العام أعنى الثالث والأربعين بعد تسعمائة ، تُوفى القاضى عبد الرحمن بن الفقيه أبى بكر بن الفقيه القاضى الحاج ضحوة السبت الحادى والعشرين من الربيع الآخر ، وعمره اثنان وثمانون سنة ، وسبقه ولىُّ الله تعالى الفقيه الحاج أحمد بن عمر ابن محمد أقيت إلى دار الآخرة بعام واحد غير شهر واحد ، وهو رحمه الله تعالى توفى فى العام الثانى والأربعين ليلة الجمعة العاشر من ربيع الآخر فى أول الطاعون المسمى كف .

(طريقة تولى إسماعيل السلطنة)

وكيفما تولى إسماعيل بعث رسله ليطردوا محمد بنكن المعزول ويخرجوه من أرض سغى ، وساروا قسمين قسم إلى جهة هوص ، وقسم إلى جهة كرم ، وفى هذا القسم يارى سنك دبى طلب ذلك من إسكيا ورحل آخر كذلك طلب منه توليه رياسته التى له فمنعها إياه وولاها لآخر .

فلما تولى إسماعيل ولاه رياسة أكبر منها . وقد قدم مرسولاً قبل هؤلاء إلى كاغ لئلا يتركوه أن يدخل فيها ، فتوجه فى هروبه إلى تنبكت وجاز عليه يومان فى سيره ما ذاق الكور وهو مُولع به كثيراً ، فإذا برسوله الذى أرسله إلى جنى فى أيام سلطنته راجع فى القارب وفيه كل خير .

فلما تحققه أتباعه صاحوا عليه : إسكيا هاهنا فقصدهم حتى رسى قدامه وفهم ساعتئذ ما جرى ، فطلب إسكيا منه الكور . وقال له : الكل متاعك ، ارفع منها ما أردت . فقال : ليس بمتاعى اليوم ، ولا أرجع سارقاً ولا قاطعاً ، أريد من الذى لك فأعطاه ما يكفيه ، فلما أكله وابتلعه تقيأ جميعَ ما فى بطنه لطول عهده به . ثم طلب منه المرسول أنْ يحضر معه ، فلم يقبل .

وقال : امض فى طريقك بسلامة وعافية ، وإذا وصلت أخبر إسكيا بجميع ما جرى بينى وبينك ، ولا نكتمه شأنها لئلا يسمعه من فم آخر فيقتلك باطلاً وأهل سغى ليسوا بخير .

فلما بلغ إسكيا أخبره بجميع ما جرى ، ثم وصل تنبكت فى آخر الليل ، فقصد دار أبى البركات القاضى الفقيه محمود يسلم عليه ، فوجد ابنه عمر المنتبه وحده ساعتئذ فوق سطح يطالع كتاب (المعيار) للونشريشى فى ليلة مُقمرة ، وسنُّه يومئذ والله أعلم سبع وعشرون سنة ، فشاور له والده الفقيه محمود فدخل وسلَّم عليه وأخبره بما جرى عليه من سغى ، فخرج ساعتئذ وتوجَّه إلى تندرم عند أخيه كرمن فارى عثمان .

وفى غد ضحوة وصل خيل إسكيا إسماعيل تنبكت الذين فى أثره فجاوزوا على حالهم ، وعند وقت العصر وصلوهم عند بحر كركند قريباً من تندرم ، فاقتتلوا هنالك ورجع خيل إسكيا إسماعيل لمَّا تحققوا أنه وصل عند أخيه عثمان ، ومعه ولده بكر ، وطلب منه الرجوعَ إلى كاغ للمقاتلة .

فقال له : ما زال ذلك الأصبع الذى جعلك إسكيا يردك . فقال له : لا تقدر على ذلك الذى مددت جيش سغى به من الرجال فى مدتى هذه لا يقابلهم جميع جيشك ، مع أن أهل سغى إذا كرهوا لا شفاءَ لهم ، ثم وصل الخيل الذين أخذوا جهة كرم بلد كرم ، وهو مقابلٌ لتندرم ، فنادى : يا رى سنك دب إسكيا مرنكن سلام عليكم . فقال له السائل : من أنت ؟

قال : أنا يارى سنك دب ما أحب أنْ يكون عليك مثلُ هذا اليوم . ولكن أحب أنْ يكونَ قولى صدقاً ، ثم نادى الآخر كذلك . فقيل له : من أنت ؟ قال : أنا فلان منعتنى جيفة فأبدلها الله لى ذبيحة ، ثم رجعوا إلى سغى بعد ما توجَّه هو وأخوه عثمان إلى ملى ومعه ولده المذكور ، فوصلوا بلد سنقرزومع ، ونزلوا فيه للتوطن فتزوج ابنه بكر هنالك وولد ماريا .

ثم شرع أهل ملى فى الإذلال والتصغير لهم ، ولا يصبر عثمانُ على ذلك يتكلم له ويُوصيه على الصبر ، حتى أن يوماً واحداً غضب عليهم غضباً شديداً فى ذلك الإذلال فشدد عليه إسكيا محمد بنكن فى الكلام يومئذ واغلظ ، وقال له : أراك لا تريد لنا الخير فى هذا الحال .

فغضب عثمان وارتحل إلى بير وسكن فيها ، ثم ارتحل إسكيا وأولاده إلى سام

آخر بلاد سلاطين أهل كل فسكن فيها مع عياله .

وذكر عن إسكيا إسماعيل أنه قال : لَمَّا صاح عليه المغنى ساعة الطلوع انقطع قلبه وسال منه الدمُ من ورائه قال لإخوته : وما ذاك إلا لأجل المصحف الذى حلفت لإسكيا محمد بنكن هو الذى أخذنى ونفذ فى وأنا لا أستأخر فى هذه السلطنة ، فانظروا لأنفسكم وكونوا رجالاً ما أردت خروجه من السلطنة إلا لثلاثة أشياء : إخراج والدنا من ضرورة تلك الجزيرة ، ورجوع أخواتنا فى الحجاب ، وقول يان مار كلما رأته فرخ نعامة واحد خيرٌ من ماية فروخ دجاجة .

فبدخوله التسكية جاء فار منذ يوم كتباك فنزل عن فرسه ، وقال له : بادر لى بذلك القتل . قال له : لا إلا أنْ تبقى فى مقامك عزيزاً مُكرّماً عندى . فقال : لا والله ولاطفه بالأقوال الحسنة كلها ، فلم يجد منه ممسكاً ، فأمر بسجنه وكيفما نزل عن فرسه ساعة مجيئه .

(تعينات إسكيا إسماعيل للوظائف)

ركب عليه أخوه داود لأجل تلك الجرأة ، جعله فار منذ لَمَّا أيس من قبول سوم كتباك ، وجعلهما ولد أرى بنت الإسكيا محمد كرمن فارى بن بلمع محمد كرى .

وفى الرابع والأربعين أخرج أباه من سجنه كنكاك فى أول العام وردَّه إلى كاغ .

(وفاة الحاج إسكيا محمد الكبير)

وفيها ذهب إلى دور . وفيها توفى الأمير إسكيا الحاج محمد ليلة الأحد ، ليلة عيد الفطر ، رحمه الله تعالى وغفر له وعفا عنه بمنِّه .

ثم غزا إلى بكبول فى أرض كرم . فلما اقاربه رحل بعياله وقومه ، فخرج من بين يديه فأعطى الخيل لكرمن فارى همادولد أرى ، فتبعه حتى وصله فتقاتلا وامتنع له الكافر . فبلغ الخبر إسكيا وأرسل لكرمن فارى أن أمتنع لكم أجيء أنا بنفسى . فقال للعسكر : سوسو . وهى كلمة التحضيض عندهم يا أصحابنا .

وقد عرفتُم بلا شكٍّ ولا ريب إذا جاء يجدا لزمكم الجميل علينا ، فتقدموا إليهم وقتل الكفار ، فهم ساعتئذ تسعمائة فارس ، فقتلوه مع المشركين وغنموا النجعة ، حتى بيع عبدٌ واحدٌ فى كاغ بثلاثماية ودعا [1] .

(وفاة إسكيا إسماعيل)

وتُوفى إسكيا إسماعيل فى شهر رجب يوم الأربعاء فى العام السادس والأربعين بعد أن خرج أهل سغى إلى الغزو .

(١) الودع : كان يُستخدم كعملة فى سنغاى ، وذلك للسلع قليلة القيمة .

obeikandl.com